الجمل المؤكدة
في
خطبة حجة الوداع

إعداد

د. طلال بن عمر أحمد بادحدح

عضو هيئة التدريس في المعهد العلمي

في مكة المكرمة

التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الجمل المؤكدة في خطبة حجة الوداع

طلال بن عمر أحمد بادحدح
عضو هيئة التدريس في المعهد العلمي في مكة المكرمة التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: TOdhdh@imamu.edu.sa

ملخص البحث:

أهمية البحث : تأتي أهمية البحث من حيث كونه متعلقا بالسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم وذلك بدراسة خطبة حجة الوداع دراسة وصفية من حيث دلالة الجمل المؤكدة الواردة في الخطبة .

خطة البحث : اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة بالنتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة وذيلته بذكر مصادر البحث ثم فهرس لمحتوياته.

- **وأما الفصول فكانت على النحو الآتي:**
- **الفصل الأول:** مقدمة في التوكيد، وذكرت فيه ثلاثة مباحث.
- **المبحث الأول:** تعريف التوكيد وذكر مسمياته وأنواعه.
- **المبحث الثاني:** فوائد التوكيد وأسراره.
- **المبحث الثالث:** بيان بعض طرق التوكيد وبعض أساليبه في العربية.
- **الفصل الثاني:** خطبة حجة الوداع، وذكرت فيه ثلاث مباحث:
- **المبحث الأول:** خطبة النبي ﷺ (التعريف بها وبمصادرها).
- **المبحث الثاني:** نص الخطبة.
- **المبحث الثالث:** بلاغة النبي ﷺ وبيانه.
- **الفصل الثالث:** دراسة وصفية للجملة المؤكدة في خطبة حجة الوداع، وهو بيت القصيد في البحث، ذكرت فيه ثمانية مباحث:
- **المبحث الأول:** توكيد الجملة بإن.

- **المبحث الثاني:** تكرار بعض الألفاظ في الخطبة.
- **المبحث الثالث:** تقديم ما حقه التأخير لإفادة الحصر.
- **المبحث الرابع:** الحصر بإنما.
- **المبحث الخامس:** التوكيد بلفظ (كل).
- **المبحث السادس:** التوكيد بلفظ (أجمعين).
- **المبحث السابع:** الاستثناء بعد النفي.
- **المبحث الثامن:** التوكيد بالاسم الموصول وصلته.

والله الموفق

Emphasized Sentences in the Farewell Sermon

Talal bin Omar Ahmed Badahdah
Member of the teaching staff at the Scientific Institute in Makkah Al-Mukarramah affiliated to Imam Muhammad bin Saud Islamic University - Kingdom of Saudi Arabia.
Email: TOdhdh@imamu.edu.sa

Abstract:

Importance of the Research: This research is important because it relates to the Sunnah of the Prophet by studying the Farewell Sermon descriptive study in terms of the significance of the affirmed sentences contained in the sermon

Research Plan:

The research included an introduction, three chapters and a conclusion that included the findings of the research, then research sources and bibliographies.

The chapters were as follows:

- The first chapter: Introduction to Diaphora including three topics.
  - Topic one: Definition of Diaphora and mentioning its names and types.
  - Topic Two: Benefits and Secrets of Diaphora.
  - Topic three: Some of Diaphora methods in the Arabic language.
- The second chapter: The Farewell Sermon, including three topics.
  - Topic one: The prophet's sermon (introducing to it and its sources)
  - Topic two: The text of the sermon.
  - Topic three: The Rhetoric and Eloquence of the Prophet
- The third chapter: A descriptive study of the affirmative sentence in the Farewell Sermon, which is the most important part of the research, including eight topics:
  - Topic one: Diaphora using the word "ENNA".
  - Topic two: The repetition of some words in the sermon
  - Topic three: Anastrophe for Restriction.

- Topic four: Restriction using "INNAMA".
- Topic Five: Diaphora using the word "KUL"
- Topic Six: Diaphora the word "AJMAEEIN"
- Topic Seven: Exception after Negation.
- Topic 8: Diaphora using relative pronouns.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذ بحث متواضع وجهد من مقل درست فيه خطبة من خطب النبي ﷺ، وهي خطبة الوداع دراسة وصفية، متلمسا في الدراسة الجملة المؤكدة فيها، وكانت خطة البحث على النحو التالي:

- اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة فصول وختمة بالنتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة وذيلته بذكر مصادر البحث ثم فهرس لمحتوياته.
- وأما الفصول فكانت على النحو الآتي:
- الفصل الأول: مقدمة في التوكيد، وذكرت فيه ثلاثة مباحث.
- المبحث الأول: تعريف التوكيد وذكر مسمياته وأنواعه.
- المبحث الثاني: فوائد التوكيد وأسراره.
- المبحث الثالث: بيان بعض طرق التوكيد وبعض أساليبه في العربية.
- الفصل الثاني: خطبة حجة الوداع، وذكرت فيه ثلاث مباحث:
- المبحث الأول: خطبة النبي ﷺ (التعريف بها وبمصادرها).
- المبحث الثاني: نص الخطبة.
- المبحث الثالث: بلاغة النبي ﷺ وبيانه.
- الفصل الثالث: دراسة وصفية للجملة المؤكدة في خطبة حجة الوداع، وهو بيت القصيد في البحث، ذكرت فيه ثمانية مباحث:
- المبحث الأول: توكيد الجملة بإن.
- المبحث الثاني: تكرار بعض الألفاظ في الخطبة.
- المبحث الثالث: تقديم ما حقه التأخير لإفادة الحصر.
- المبحث الرابع: الحصر بإنما.

- المبحث الخامس: التوكيد بلفظ (كل).
- المبحث السادس: التوكيد بلفظ (أجمعين).
- المبحث السابع: الاستثناء بعد النفي.
- المبحث الثامن: التوكيد بالاسم الموصول وصلته.

وبعد: [فقد قلنا بمقدار ما فهمنا، وما شهدنا -يعلم الله- إلا بما علمنا، وتلك نعمة على المسلمين لا يكتمها إلا البغيض، ولا ينكرها في الناس إلا ذو قلب مريض، ومن جعل أنفه في قفاه، فإنما السوءة أن يفتح فاه....

على أننا إن كنا قد عجزنا، ووعدنا الكلام أكثر مما أنجزنا، فلا ضير أن نصف النجم في سراه وإن لم نستقر في ذراه، ونستدل بما نأينا منه وإن لم تنفذ فيما وراه، وإذ خطر الفكر الضئيل في مثل هذه الحقيقة السامية، فقل إنها خطرة طيف، وإذا اجتمع للقلم سواد في تلك السماء العالية فقل إنما هي سحابة صيف، ولعمر الله كيف نضرب بالغاية على تلك البلاغة التي لا تحد، وكيف نمضي بعد أن كلّ حدّ الفكر ووقفنا عند هذا الحد، الحمد لله نهاية لا تزال تبدأ، وبدء لا ينتهي][1].

والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

(١) انظر إعجاز القرآن والبلاغة والنبوية للرافعي ص٣٧٧.

الفصل الأول: مقدمة في التوكيد

المبحث الأول: تعريف التوكيد وذكر مسمياته وأنواعه.

المبحث الثاني: فوائد التوكيد وأسراره.

المبحث الثالث: بيان بعض طرق التوكيد وأساليبه في العربية.

المبحث الأول: تعريف التوكيد وذكر مسمياته وأنواعه.

قال الفاكهي: [حد التوكيد: تابع يقصد به كون المتبوع على ظاهره.

وهو قسمان: معنوي ولفظي.

حد المعنوي: التابع المقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول.

حد اللفظي: إعادة اللفظ الأول أو موافقه][(١)].

وسماه ابن جني الاحتياط فقال في الخصائص: [باب في الاحتياط، اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته (واحتاطت) له فمن ذلك التوكيد ..][(٢)].

وما ذكرته من تعريف التوكيد وأقسامه ومسمياته إنما هو عند علماء النحو[(٣)]، وهو عند البلاغيين أوسع بابا وأكثر طرقا وتناولا، فلينتبه لهذا.

(١) انظر شرح كتاب الحدود في النحو ص٢٥٦.

(٢) الخصائص (٣/١٠١).

(٣) انظر شرح المفصل (٣/٣٩)، شرح الكافية لابن مالك (٣/١١٦٩)، التصريح (٣/٥٠٧).

المبحث الثاني: فوائده وأسراره:

التوكيد من أهم الطرق لتثبيت الفكرة في نفوس الناس، وإقرار المعنى في قلوبهم، وله تأثير كبير في عقول المستمعين، فالتوكيد بـ (إن) مثلا لا يقصد به التوكيد الظاهري فقط، وإنما يستفاد منه أغراض أخرى يفهمها أهل الفروق والعارفون باللغة وأسرارها، وقد تدِقّ في الفهم حتى تخفى على بعض العلماء، كما خفيت على خلف الأحمر وعمرو بن العلاء، يقول الأصمعي: [كنت أسير مع أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر، وكانا يأتيان بشارا فيسلمان عليه بغاية الإعظام، ثم يقولان: يا أبا معاذ، ماذا أحدثت؟ فيخبرهما وينشدهما.

وأتياه يوما فقالا: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلم بن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكم، قالوا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب، قال: نعم، قالوا: فأنشدناها يا أبا معاذ، فقال:

بكِّرا صاحبيَّ قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

حتى فرغ منها فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان "إن ذاك النجاح في التبكير" "بكرا فالنجاح في التبكير" كان أحسن.

فقال بشار: إنما بنيتها أعرابية وحشية، فقلت: "إن ذاك النجاح في التبكير" كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: "بكرا فالنجاح" كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذاك الكلام، ولا يدخل في معنى القصيدة، قال: فقام خلف فقبّل بين عينيه].

قال الإمام عبد القاهر الجرجاني: [فهل كان هذا القول من خلف والنقد على بشار إلا للطف المعنى في ذلك وخفائه؟][1].

وبعد أن عرفنا شيئا من أهمية التوكيد وفائدته، نأتي إلى بيان بعض طرائقه مجملة، ثم نشرع في تفصيلها إن شاء الله تعالى.

(١) انظر دلائل الإعجاز ط. محمود شاكر ص٢٧٢.

المبحث الثالث: بيان بعض طرق التوكيد وأساليبه في العربية:

أسلوب التوكيد يأتي على فرعين كبيرين هما[1]:

الأول: التوكيد بغير الأداة، والثاني: التوكيد بالأداة.

فأما الفرع الأول: وهو التوكيد بغير الأداة فينقسم أيضا إلى قسمين، هما: التوكيد المعنوي واللفظي.

أ. التوكيد المعنوي: هو تكرار الكلمة المؤكدة بمعناها، وله ألفاظ خاصة هي: النفس والعين وكلا وكلتا وكل وجميع وعامة وأجمعون، وإذا أريد تقوية التوكيد جاز أن تتبع (كله) بـ(أجمع) و (كلها) بـ (جمعاء) و(كلهم) بـ (أجمعين) و(كلهن) بـ (جمع)، نحو قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحجر: ٣٠].

ب. التوكيد اللفظي: وهو تكرار المؤكد بلفظه، ويأتي على أربعة أنواع هي:

١. الاسم، نحو قوله تعالى: ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [الفجر: ٢١].

٢. الفعل، نحو قولك: جاء جاء زيد.

٣. الحرف، نحو قولك: نعم نعم جاء الطالب.

٤. الجملة، والأكثر فيها أن تقترن الثانية بعاطف هو (ثم) كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [النبأ: ٤-٥] و (الفاء) كما في قوله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ [القيامة: ٣٤]، وقد لا تقترن الجملة الثانية بعاطف كقوله ﷺ ثلاثا: (والله

(١) انظر شرح الكافية الشافية لابن مالك (١١٦٨/٣)، والتصريح بمضمون التوضيح (٥٠٧/٣)، وشرح المفصل (٣٩/٣)، وغيرها من كتب النحو، وانظر أيضا كتاب مختصر النحو د/ عبد الهادي الفضلي ص١٧٧ و ص٢٣٦.

لأغزون قريشا)، وقد يأتي التوكيد اللفظي بمرادف المؤكد نحو: أنت بالخير حقيق قمين.

وأما الفرع الثاني: فهو التوكيد بالأداة.

وأدوات التوكيد هي: إنَّ ، إنَّ ، اللام وتأتي مختصة بالأسماء ومختصة بالأفعال ومشتركة بينهما كالتالي:

١- توكيد الاسم:

يؤكد الاسم بإحدى أداتين مختصين به هما:

١. إنَّ –المكسورة الهمزة– كقولك: (إنّ زيدا عالم).

٢. أنَّ –المفتوحة الهمزة– نحو: (سرني أنَّ زيدا مسافر غدا).

٢- توكيد الفعل:

يؤكد الفعل بأداة واحدة مختصة به هي (النون) كالآتي:

١. يجوز توكيد الفعل بنون التوكيد (خفيفة أو ثقيلة) في المواضع التالية:

أ. الأمر: نحو (اذهبنْ) و (اذهبنَّ).

ب. النهي: نحو (لا تذهبنْ) و (لا تذهبنّ)، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا ﴾ [إبراهيم:٤٢].

ج. العرض: نحو (هلّا تذهبنْ) و (هلّا تذهبنّ).

د. الاستفهام: نحو (هل تذهبنْ) و (هل تذهبنّ).

هـ. الشرط: بشرط اقترانه بـ (ما) نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الإسراء:٢٨].

٢. يجب تأكيده بها في القسم، نحو (والله لتقومنْ) و (والله لتقومنّ) قال تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ [الأنبياء:٥٧].

٣- توكيد الاسم والفعل:

هناك أداة توكيد واحدة مشتركة بين الأسماء والأفعال هي (اللام)، وتستعمل في المواضع التالية:

١. مع المبتدأ وتسمى (لام الابتداء) نحو: (لأنت أخي حقا).
٢. مع خبر إنّ وتسمى (اللام المزحلقة) نحو: (إنك لأخي).
٣. مع جواب القسم وتعرف بـ (اللام الداخلة على جواب القسم) نحو: (والله لأقولن الحق).
٤. مع جواب لو، وتعرف بـ (الواقعة في جواب لو) نحو: (لو اجتهدت لنجحت).
٥. مع جواب لولا، وتعرف بـ (الواقعة في جواب لولا) نحو: (لولا كثرة استذكاري لرسبت).
٦. مع خبر إنْ –المكسورة المخففة– وتسمى بـ (اللام الفارقة)؛ لأنها تفرق بين (إنْ) المذكورة و (إنْ) النافية كقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يس:٣٢].
٧. مع معمول خبر إن بشرط أن يكون متقدما على الخبر وغير حال، والخبر صالحا للاقتران باللام كقولك: (إن زيدا لعمرا ضارب).
٨. مع اسم إن المتأخر عن الخبر أو معموله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً ﴾ [آل عمران:١٣] وقولك: (إن في الدار لزيدا جالس).
٩. مع ضمير الفصل كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾[آل عمران:٦٢].

ومن أساليب التوكيد البلاغية أسلوب القصر[(١)]:

وهو في اصطلاح علماء المعاني: تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أمر بآخر بطرق مخصوصة.

وله أربع طرق يؤدى بها هي:

أ. النفي الاستثناء: وفي هذه الحالة يكون المقصور عليه ما بعد أداة

(١) انظر مفتاح العلوم للسكاكي ص٢٨٨، والإيضاح للخطيب القزويني ص١٢٢.

الاستثناء.

ب. إنما: ويكون المقصور عليه معها مؤخرا وجوبا.

ج. العطف بـ (لا) أو لكن أو بل: فإن كان العطف بـ (لا) كان المقصور عليه مقابلا لما بعدها، وإن كان العطف بـ (لكن) و (بل) كان المقصور عليه ما بعدها.

د. تقديم ما حقه التأخير: وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم.

الفصل الثاني:	**خطبة حجة الوداع.**
المبحث الأول:	**خطبة النبي ﷺ بعرفة: [تأريخها – التعريف بها وبمصادرها].**
المبحث الثاني:	**نص الخطبة.**
المبحث الثالث:	**بلاغة النبي ﷺ وبيانه..**

المبحث الأول: خطبة النبي ﷺ بعرفة: [تأريخها – التعريف بها وبمصادرها]:

خطب النبي ﷺ يوم عرفة خطبة واحدة، ولم تكن خطبتين جلس بينهما بعرنة(١).

وأوسع مصدر ورد فيه نص هذه الخطبة هو كتاب البيان والتبيين للجاحظ (٣١/٢) وتبعه ابن عبد ربه في العقد الفريد (٥٧/٤) وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (٣١/١) لكن كتب هؤلاء لم تذكرها بإسناد، وهي كتب للأدب وليست للأحاديث النبوية ولا للأحكام الشرعية .. ثم إن كتب هؤلاء فيها الصحيح والزائف والمقبول المرذول؛ لذلك لا بد من توثيق النص بميزان الجرح والتعديل الذي اعتمده أئمة المسلمين منذ الصدر الأول؛ لأن الأمر دين وشرع، ولا يقبل فيه إلا الوحي وقول الصادق المصدوق(٢).

وسأذكر النص كما جاء في كتاب السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة(٣)؛ لأنني أرى فيه الأخذ بالصحيح من الروايات مع التحرير في الألفاظ والعبارات.

وإليك نص الخطبة في المبحث الثاني.

---

(١) انظر زاد المعاد (٢٣٤/٢).

(٢) انظر كتاب الوصية النبوية للأمة الإسلامية في حجة الوداع د/ فاروق حمادة ص١٨٢.

(٣) انظر السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٥٧٢/٢).

المبحث الثاني: [نص خطبة الوداع]:

قال صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس: اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، وربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أبدأ به دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس: إن النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونه عاما ويحرمونه عاما، ليواطئوا عدة ما حرم الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعظوهن، وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم لا يملكن لأنفسهم شيئا، وإنكم

إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله، وسنة نبيه.

أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، وإنه لا وصية لوارث، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث.

والولد للفراش، وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلا. وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويقلبها على الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، والسلام عليكم ورحمة الله». أ. هـ.

المبحث الثالث: [بلاغة النبي ﷺ وبيانه]:

وقبل أن أبدأ في تحليل خطبة النبي ﷺ وأستخرج طرائق التوكيد منها فإني أجد نفس مضطرا للتنبيه على أني أحاول أن أتلمس الإيحاءات والإشارات من كلامه ﷺ كيف وقد أوتي جوامع الكلم والبيان.

قال الجاحظ واصفا كلامه ﷺ[1]: [وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]، فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التقعيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق].

وقال أيضا: [ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه ﷺ كثيرا].

(١) انظر البيان التبيين (١٦/٢).

الفصل الثالث:	دراسة وصفية للجملة المؤكدة في خطبة الوداع.
المبحث الأول:	توكيد الجملة بـ (إن).
المبحث الثاني:	تكرار بعض الألفاظ في الخطبة.
المبحث الثالث:	تقديم ما حقه التأخير لإفادة الحصر.
المبحث الرابع:	الحصر بـ (إنما).
المبحث الخامس:	التوكيد بلفظ (كل).
المبحث السادس:	التوكيد بلفظ (أجمعين).
المبحث السابع:	الاستثناء بعد النفي.
المبحث الثامن:	التوكيد بالاسم الموصول وصلته.

الفصل الثالث: دراسة وصفية للجملة المؤكدة في خطبة الوداع:

وفي خطبة حجة الوداع تتجلى معالم البيان النبوي وتتألق أبعاده، وما أحوجنا إلى تأمل النماذج العليا من هذا الفن الأدبي الراقي.

وحين نتأمل هذه الخطبة نجدها كنزا من الأساليب المضيئة بالإيمان والناطقة بأدق أسرار لغتنا العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، ويمكن لنا أن نتلمس شيئا منها في المباحث الآتية.

المبحث الأول: توكيد الجملة بـ (إن):

وقد تكرر التوكيد بـ (إن) في الخطبة ثماني عشرة مرة، وكثرة التأكيد له علاقة بمدى أهمية الأمر المؤكد، وأي أهمية أكبر من إقامة المجتمع الإسلامي على دعائم الحق والخير والعدالة والمساواة والتآخي.

وقوله: (إن ربا الجاهلية موضوع) تأكيد لرفض السياسة الجاهلية الاقتصادية مهما كان زمنها.

وقوله: (إن دماء الجاهلية موضوعة) تأكيد لرفض التصور الجاهلي للمحافظ على النفس أو الثأر لها.

وقوله: (إن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية) تأكيد لرفض التصور الجاهلي لأسس التفاضل بين الناس.

وقوله: (إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه) تأكيد لوجوب مقاومة الشطان بكل مغرياته وموحياته.

وقوله: (إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق) تأكيد لإقامة البنيان الأسري على أسس عادلة ثابتة.

وقوله: (إنما المؤمنون إخوة) تأكيد لاستمرار حيثيات الأخوة وترجمتها إلى سلوك إسلامي.

وقوله: (فإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله ...) تأكيد لوجوب الحرص على العمل بالكتاب والسنة حتى تكون النجاة من تيه الضلال وعملية الفساد، وهكذا في بقية المواضع ... .

المبحث الثاني: تكرار بعض الألفاظ في الخطبة:

أ- تكرار النداء:

تكرر النداء في الخطبة ثماني مرات، ويتمثل هذا الأسلوب في قوله عليه الصلاة والسلام: (أيها الناس) وهاك بيانها:

(أيها الناس: اسمعوا قولي...) ، (أيها الناس: إن دماءكم...) ، (أيها الناس: إن الشيطان يئس...) ، (أيها الناس: إن النسيء زيادة في الكفر) ، (أيها الناس: إن لكم على نسائكم حقا) ، (أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة) ، (أيها الناس: إن ربكم واحد) ، (أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث)

والنداء هنا يكشف عن حرص المصطفى عليه الصلاة والسلام على هداية العالمين جميعا؛ ولذلك جاء التعبير بلفظ (الناس) فالإسلام دين البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وبين كل نداء ونداء يبث السراج المنير شعاعا من نور الحق ليضيء به دروب النفوس التي أظلمت قرونا عديدة، ويظل النداء ساريا في ضمير الأجيال المؤمنة عبر القرون المتعاقبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي تكرار النداء إيقاظ للحواس والقلوب الغفل والآذان الصم.

ب- تكرار اسم الإشارة في المواضع الآتية:

قوله: (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا)، وقوله: (كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)، وفي ذلك دلالة على التعظيم والتحديد، وأيضا فيه تنبيه المخاطبين إلى اكتمال الرسالة وبلوغها الدرجة المثلى .. وكأنها تهيئة نفسية للمسلمين من أجل ألا يفزعوا حين يلقى المصطفى ربه راضيا مرضيا .. حيث يقول: (اسمعوا من أبين لكم، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقعي هذا).

ج- تكرار لفظ: (ألا هل بلغت، اللهم فاشهد):

تكررت ست مرات: بعد قوله: (إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام...)،

وقوله: (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا...)، وقوله: (فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا...)، وقوله: (إنما المؤمنون إخوة...)، وقوله: (ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى...).

ثم كررها ثلاثا في آخر الخطبة: (فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويقلبها على الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد).

وهو بهذا التكرار يلقى على المسلمين عبء المسؤولية، ويشهد عليهم الحق سبحانه وهو خير الشاهدين، وهذا التكرار يأتي في قالب الاستفهام المثير للانتباه والراصد للمشاعر المؤمنة التي لن تجيب إلا بالقبول والإقرار، ومن هنا تكون الحجة على المخالفين المعاندين، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة:١٢٩].

المبحث الثالث: تقديم ما حقه التأخير لإفادة القصر:

وذلك في قوله: (إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام)، وقوله: (إن لكم على نسائكم حقا)، وقوله: (ولهن عليكم حقا)، وقوله: (لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم)، وقوله: (للعاهر الحجر).

المبحث الرابع: الحصر بـ (إنما):

وذلك في قوله: (وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله...)، وقوله: (إنما المؤمنون إخوة).

المبحث الخامس: التوكيد بلفظ (كل):

وذلك في قوله: (ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدم موضوع).

المبحث السادس: التوكيد بلفظ (أجمعين):

وذلك في قوله: (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

المبحث السابع: الاستثناء بعد النفي:

وذلك في قوله: (ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى).

المبحث الثامن: التوكيد بالاسم الموصول وصلته:

وذلك في قوله: (ورجب الذي بين جمادى وشعبان)[1].

(١) انظر الحديث النبوي رؤية فنية جمالية تأليف: د/ صابر عبد الدايم ص١٠٣.

النتائج:

توصلت من خلال البحث إلى النتائج الآتية:

- اشتملت الخطبة على مؤكدات كثيرة بلاغية ذات أثر ومعنى.
- بلغ عدد توكيدات الجملة بـ (إن) في الخطبة (١٨) موضعا.
- جاء التوكيد بتكرار اسم الإشارة في موضعين.
- وبتكرار لفظ (أيها الناس) في (٨) مواضع.
- وبتكرار لفظ (ألا هل بلغت، اللهم فاشهد) في (٦) مواضع.
- أُكّد بتقديم ما حقه التأخير في (٥) مواضع.
- أُكّد بالحصر بـ (إنما) في موضعين.
- أُكّد بلفظ (كل) في موضعين.
- أُكّد بلفظ (أجمعين) في موضع واحد.
- أُكّد بالاستثناء بعد النفي في موضع واحد.
- أُكّد بالاسم الموصول وصلته في موضع واحد.

مراجع البحث: [مرتبة ترتيبا أبجديا]:

١. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تأليف: مصطفى صادق الرافعي، ضبط وتصحيح: محمد سعيد العريان، ط: ٤، مطبعة الاستقامة ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م.
٢. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف: الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ، ط: المكتبة العصرية – بيروت.
٣. الإيضاح في علوم البلاغة، تأليف: الخطيب القزويني، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.
٤. البيان والتبيين، تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: دار الجيل.
٥. التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد زين الدين بن عبد الله الأزهري ت ٩٠٥هـ، تحقيق: د/ عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٦. كتاب الحدود في النحو مع شرحه، للإمام عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي ٨٩٩-٩٧٢هـ، تحقيق: المتولي رمضان الدميري، طبعة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٧. دلائل الإعجاز، تأليف: الإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، الناشر: مطبعة المدني – القاهرة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢هـ.
٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، الخامس والعشرون، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٩. شرح الكافية الشافية، تأليف: جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني ت ٦٧٢هـ، تحقيق: عبد المنعم هريدي،

دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى.

١٠. شرح المفصل، تأليف: الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي ت٦٤٣هـ، ط: عالم الكتب – بيروت.

١١. مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي ت ٦٢٦هـ، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الثانية ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

١٢. الوصية النبوية للأمة الإسلامية في حجة الوداع، تأليف: د/ فاروق حمادة.

فهرس البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	١٠٢٤٣
الفصل الأول: مقدمة في التوكيد.	١٠٢٤٥
المبحث الأول: تعريف التوكيد وذكر مسمياته وأنواعه.	١٠٢٤٦
المبحث الثاني: فوائد التوكيد وأسراره.	١٠٢٤٧
المبحث الثالث: بيان بعض طرق التوكيد وبعض أساليبه في العربية.	١٠٢٤٨
الفصل الثاني: خطبة حجة الوداع.	١٠٢٥٢
المبحث الأول: خطبة النبي ﷺ [تأريخها - التعريف بها وبمصادرها].	١٠٢٥٣
المبحث الثاني: نص الخطبة.	١٠٢٥٤
المبحث الثالث: بلاغة النبي ﷺ وبيانه.	١٠٢٥٦
الفصل الثالث: دراسة وصفية للجملة المؤكدة في خطبة حجة الوداع.	١٠٢٥٧
المبحث الأول: توكيد الجملة بـ (إن).	١٠٢٥٩
المبحث الثاني: تكرار بعض الألفاظ في الخطبة.	١٠٢٦٠
المبحث الثالث: تقديم ما حقه التأخير لإفادة الحصر.	١٠٢٦٢
المبحث الرابع: الحصر بـ (إنما).	١٠٢٦٢
المبحث الخامس: التوكيد بلفظ (كل).	١٠٢٦٢
المبحث السادس: التوكيد بلفظ (أجمعين).	١٠٢٦٢
المبحث السابع: الاستثناء بعد النفي.	١٠٢٦٢
المبحث الثامن: التوكيد بالاسم الموصول وصلته.	١٠٢٦٢
نتائج البحث	١٠٢٦٣
مراجع البحث	١٠٢٦٤
فهرس البحث	١٠٢٦٦